

تفسير البحر المحيط

@ 180 @ الشرائع ، فإنها مختلفة فلا يمكن أن يؤمر بالاعتداء بالمختلفة وهي هدى ما لم
تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها كلها هدى أبداً . وقال تعالى : {
لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَءَاءَ وَمِنْهُمْ أَجَاءَ } . وقال ابن عطية : ويحتمل أن تكون
الإشارة بأولئك إلى { * وقوما } وذلك يترتب على بعض التأويلات في المراد بالقوم على
بعضها انتهى ، ويعني أنه إذا فسر القوم بالأنبياء المذكورين أو بالملائكة فيمكن أن تكون
الإشارة إلى قوم وإن فسروا بغير ذلك فلا يصح ، وقيل : الاعتداء في الصبر كما صبر من قبله
، وقيل : يحمل على كل هداهم إلا ما خصه الدليل ، وقيل : في الأخلاق الحميدة من الصبر على
الأذى والعفو ، وقال : في ريّ الظمآن أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية بمكارم الأخلاق فأمر
بتوبة آدم وشكر نوح ووفاء إبراهيم وصدق وعد إسماعيل وحلم إسحاق وحسن ظنّ يعقوب ؟
واحتمال يوسف وصبر أيوب وإثابة داود وتواضع سليمان وإخلاص موسى وعبادة زكريا وعصمة يحيى
وزهد عيسى ، وهذه المكارم التي في جميع الأنبياء اجتمعت في الرسول صلى الله عليه وسلم)
وعليهم أجمعين ولذلك وصفه تعالى بقوله : { مَمْدُونٍ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ خُلُقَ عَظِيمٍ }
 . وقال الزمخشري : { فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدِهِ } فاختص هداهم بالاعتداء ولا يقتدى إلا
بهم ، وهذا بمعنى تقديم المفعول وهذا على طريقته في أن تقديم المفعول يوجب الاختصاص وقد
رددنا عليه ذلك في الكلام على { إِيَّاسَ نَعْبُدُ } . وقرأ الحرميان وأهل حرميهما وأبو
عمرو اقتده بالهاء ساكنة وصلماً ووقفاً وهي هاء السكت أجر وهاء وصلماً مجراها وقفاً ، وقرأ
الأخوان بحذفها وصلماً وإثباتها وقفاً وهذا هو القياس ، وقرأ هشام اقتده باختلاس الكسرة في
الهاء وصلماً وسكونها وقفاً ، وقرأ ابن ذكوان بكسرهما ووصلها بياء وصلماً وسكونها وقفاً
ويؤول على أنها ضمير المصدر لا هاء السكت ، وتغليظ ابن مجاهد قراءة الكسر غلط منه
وتأويلها على أنها هاء السكت ضعيف . .
{ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ }
أي على الدعاء إلى القرآن وهو الهدى والصراط المستقيم . { أَجْرًا } أي أجره أتكثر بها
وأخص بها إن القرآن إلا ذكرى موعظة لجميع العالمين . .
{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا
بِشْرًا مِّنْ شَيْءٍ } نزلت في اليهود قاله ابن عباس ومحمد بن كعب ، أو في مالك بن الصيف
اليهودي إذ قال له الرسول : (أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أتجد فيها أن الله
يبغض الحبر السمين) ؟ قال : نعم . قال : (فأنت الحبر السمين) فغضب ثم قال : ما أنزل

□ على بشر من شيء قاله ابن عباس وابن جبير وعكرمة ، أو في فنحاص بن عازورا منهم قاله السدي ، أو في اليهود والنصارى قاله قتادة ، أو في مشركي العرب قاله مجاهد ، وغيره ، وبعضهم خصه عنه بمشركي قريش وهي رواية ابن أبي نجيح عنه ، وفي رواية ابن كثير عن مجاهد أن من أولها إلى { مِنْ شِدِّءٍ } في مشركي قريش وقوله : { أَنْزَلَ الْكُتَابَ } في اليهود ولما ذكر تعالى عن إبراهيم دليل التوحيد وتسفيهه ، رأى أهل الشرك وذكر تعالى ما من به على إبراهيم من جعل النبوة في بنيه وأن نوحاً عليه السلام جدّه الأعلى كأن □ تعالى قد هداه وكان مرسلًا إلى قومه وأمر تعالى الرسول بالاعتداء بهدى الأنبياء أخذ في تقرير النبوة والرد على منكري الوحي فقال تعالى : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } وأصل القدر معرفة الكمية يقال : قدر الشيء إذا حزره وسبره وأراد أن يعلم مقدار يقدره بالضم قدراً وقدراً ومنه فإن غم عليكم فاقدروا له أي فاطلبوا أن تعرفوه ، ثم توسع فيه حتى قيل : لكل من عرف شيئاً هو يقدر قدره